ساعة وساعة

(٢)

الشفاء بلقاء الأحباء

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

أَثْنَاءَ زِيَارَةِ عَلِيٍّ

انْطَلَقَ (فَتْحِي) إِلَى بَيْتِ صَدِيْقِهِ (فَوْزِي) وَلَمَّا قَرَعَ البَابَ؛ خَرَجَ (عُثْمَانُ) فسَلَّمَ عَلَيْهِ (فَتْحِي) وَسَأَلَهُ عَنْ أَخِيْهِ (فَوْزي). فَأَجَابَ (عُثْمَانُ): إِنَّهُ وَثُلَّةٌ مِنْ أَصْدِقَائِهِ فِي حَدِيْقَةِ الْبَيْتِ.

فَرِحَ (فَتْحِي) بِذَلِكَ ، وَلمَّا دَخَلَ إِلَى الْحَدِيْقَةِ اسْتَقْبَلَهُ الأَصْدِقَاءُ بِالتَّرْحِيْبِ ، ثُمَّ قَالَ (فَوْزِي): لَقَدْ قَرَّرْنَا زِيَارَةَ صَدِيْقِنَا (عَلِيٍّ) ، الَّذِيْ خَرَجَ مِنَ المَشْفى البَارِحَةَ؛ فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَذْهَبَ مَعَنَا؟

قَالَ (فَتْحِي): خَيْرَاً ، وَلِمَاذَا أُدْخِلَ المُسْتَشْفَى؟

أَجَابَ (فَارِسٌ): كَمَا تَعْلَمُ ، فَإِنَّ ارْتِفَاعَ دَرَجَاتِ الْحَرَارَةِ في فَصْلِ الصَّيْفِ ، وَنُدْرَةَ الأَمْطَارِ وَالثُّلُوجِ ، يُؤَدِّيَانِ إِلى انتشار الأَمْراضِ المُعْدِيَةِ ، وَنَحْو ذَلِكَ...

أَرْدَفَ (فَادِي): وَلَكِنِ الحَمْدُ للهِ! فَقَدْ تَحَسَّنَ وَضْعُهُ الصِّحِّيُّ ، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِذَلِكَ ، فَالشَّافِي هُوَ اللهُ وَحْدَه سُبْحَانَهُ!...

وَرَاحَ (فَتْحِي) يَقْرأُ مِنْ سُوْرَةِ الشُّعَرَاءِ قَوْلَ خَلِيْلِ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيْم عَلَيْهِ السَّلامُ:

﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ

يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧ ـ ٨٣].

وَقَامَ (فَوْزي) إلى الهَاتِفِ ، وضَغَطَ على الأَزْرارِ ، وَاتَّصَلَ بِبَيْت (عَلِيٍّ) ، وَبَعْد قَلِيْلٍ رَدَّ عَلَيْه وَالِدُ عَلِيٍّ ، فَاسْتَأذَنَهُ(فَوْزي) بِأَنْ يَأْتِيَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ لِزِيَارَةِ صَدِيقِهِمْ (عَلِيٍّ) ، وَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ في الزِّيَارَةِ إِحْرَاجٌ...

وَرَحَّبَ أَبُو عَلِيٍّ بِفَوْزِي وَبِأَصْدِقَائِهِ ، وَقَالَ: أَبَدًا! لَيْس هُنَاكَ مَانِعٌ صِحِّيٌّ ، فَعَلِيٌّ ـ وَللهِ الْحَمْدُ ـ قَدْ زَالَتْ عَنْهُ أَعْرَاضُ المرضِ ، وَهُوَ الآنَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يتَحَدَّثُ مَعَهُ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَفْرَحُ كَثِيْراً بِكُمْ...

...وَمَا هِيَ إِلا دَقَائِقُ مَعْدُوْدَةٌ حتَّى كَأَنَ الأَصْدِقَاءُ أَمَامَ بَيْتِ (عَلِيٍّ) ، وَكَمْ كَانَتْ فَرْحَةُ

عَلِيٍّ عِنْدَمَا رَأى أَصْدِقَاءَهُ يَتَحَلَّقُونَ حَوْلَهُ...

وَبَعْدَ الاطْمِئْنَانِ عَنْ صِحَّتِهِ ، وَسَلامَتِهِ ، قَرَأَ (فَتْحِي) آيَاتِ الشِّفَاءِ عَلَى نِيَّةِ السَّلامَةِ ، وَتَنَاولُوا جَمِيْعاً عَصِيْرَ البُرتُقَالِ ، وَبَعْضَ الحلوِيَّات...

ثُمَّ قَالَ (عَلِيٌّ): أَرْجُو أَنْ يَحْكِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ حِكَايةً هَادِفَةً ، فَأَنَا مُشْتَاقٌ لِلاِسْتِمَاعِ إلى مَا يُفِيْد.

... وَهَذا أَثَرُ فَأْسِكَ!!

...وَأَجْرَى الأَصْدِقَاءُ قُرْعَةً فَخَرجَ الدَّورُ عَلَى (فَارِسٍ) ، فَقَالَ (عَلِيٌّ): هَاْتِ مَا عِنْدَكَ أَيُّهَا الصَّدِيْقُ الصَّدُوقُ!

فَقَال (فَارِسٌ): لَقَدْ سَمِعْتُ حِكَايَةً مِنْ

جَدِّي ، فَأَعْجَبَتْنِي كَثِيْراً ، وَذلِكَ لِمَا فِيْهَا مِنْ دُرُوسٍ وَعِبَرٍ ، فَإِلَيْكُمْ مُلَخَّصَهَا:

حُكِيَ: أَنَّ أَخَوَيْنِ كَانَا فِي إِبِلٍ لَهُمَا ، فَأَجْدَبَتْ بِلادُهُمَا ، وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهُمَا وَادٍ خَصِيْبٌ ، وَفِيْهِ حَيَّةٌ تَحْمِيْهِ مِنْ كلِّ أَحَدٍ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِلآخَرِ: يَافُلانُ! لَوْ أَنِّي أَتَيْتُ هَذَا الوَادِي المُكْلِىءِ[1]، فَرَعَيْتُ فِيْهِ إِبِلِي وَأَصْلَحْتُهَا!

فَقَالَ لَهُ أَخُوْهُ: إِنِي أَخَافُ عَلَيْكَ الحَيَّةَ ، أَلا تَرَى أَنَّ أَحَداً لا يَهْبِطُ ذَلِك الوَادِي إِلا أَهْلَكَتْهُ؟!

قَالَ: فَوَ اللهِ لأَفْعَلَنَّ! فَهَبَطَ الوَادِي ، وَرَعَى بِهِ إِبِلَهُ زَماناً.

---

(١) أيْ: الوَادِي الَّذي فِيهِ عُشْبٌ.

ثُـمَّ إنَّ الحيَّـة نَهَشَتْـهُ ، فَقَتَلَتْـهُ ، فَقَـالَ أَخُوْهُ: وَاللهِ مَا في الحَيَاةِ بَعْدَ أَخِي خَيْرٌ! فـلأطْلُبَـنَّ الْحَيَّـةَ ، وَلأقْتُلَنَّهـا ، أَوْ لأتَّبعـنَّ أَخِي ، فَهَبَطَ ذَلِكَ الوَادِي ، وَطَلَبَ الحَيَّةَ؛ لِيَقْتُلَهَا ، فَقَالتِ الحَيَّةُ: أَلَسْتَ تَرَى أَنِّيْ قَتَلْتُ أَخَاكَ؟! فَهَلْ لَكَ فِي الصُّلْحِ ، فَأَدَعُكَ بِهَذا الوَادِي تَكُوْنُ فِيْهِ ، وَأُعْطِيْكَ كلَّ يَوْمٍ دِيْنَاراً مَا بَقِيْتُ؟

قَالَ: أَوَ فَاعِلَةٌ أَنْتِ؟

قَالَتْ: نَعَمْ!

قَالَ: إِنِّي أَفْعَلُ ، وَحَلَفَ لَهَا ، وَأَعْطَاهَا المَوَاثِيْقَ لا يَضُرُّها ، وَجَعَلَتْ تُعْطِيْهِ كُلَّ يَوْمٍ دِيْنَاراً ، فَكَثُر مالُهُ حتَّى صَارَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ حَالاً.

ثُمَّ إنَّهُ ذَكَرَ أَخَاهُ ، فَقَالَ: كَيْفَ يَنْفَعُنِي الْعَيْشُ وَأَنَا أَنْظُر إِلَى قَاْتِلِ أَخِي ؟!

ثُمَّ عَمَدَ إِلى فَأْسٍ فَأَخَذَهَا ، ثُمَّ قَعَدَ لَهَا ، فَمَرَّتْ بِهِ ، فَتَبِعَهَا ، فَضَرَبَهَا ، فَأَخْطَأَهَا ، وَدَخَلَتِ الجُحْرَ ، وَوَقَعَتِ الْفَأْسُ فَوْقَ جُحْرِهَا ، فأَثَّرَتْ فِيْهِ.

فَلَمَّا رَأَتْ مَا فَعَل؛ قَطَعَتْ عَنْهُ الدِّيْنَارَ ، فَخَافَ الرَّجُلُ شَرَّهَا ، وَنَدِمَ.

فَقَالَ لَهَا: هَلْ لَكِ أَنْ نَتَواثَقَ ، وَنَعُودَ إِلى مَا كُنَّا عَلَيْهِ؟

فَقَالَتْ: كَيْفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذا أَثَرُ فَأْسِكَ؟!

وَهَلْ جَزَاءُ الإِحْسانِ إِلا الإِحْسَانُ؟!

وَطَرِبَ (عَلِيٌّ) لِتِلْكَ الحِكَايَةِ ، وَقَالَ

لِصدِيْقِهِ (فَارِسٍ): هَيَّاْ سَاعِدْنِيْ لأَعْتَدِلَ قَلِيلاً ، فَإِنِّي أَوَدُّ سَمَاعَ المَزِيدِ مِنَ الحِكَايَاتِ الهَادِفَةِ!

وَرَاْحَ (فَوْزي) يَحْكي حِكايةً حَفِظَهَا مِنَ المَدْرسَةِ ، فَقَالَ:

خَـرَجَ الحَسَـنُ ، والحُسَيْـنُ ، وَعَبْـدُ اللهِ ابْـنُ جَعْفـرٍ ـ رَضِـي الله عَنْهُـمْ أَجْمَعِيْـنَ ـ حُجَّـاجـاً ، فَفَـاتَتْهُـمْ أَثْقَـالُهُـمْ ، فجـاعـوا ، وَعَطِشُوا. فَمَرُّوا بِعَجُوْزٍ في خِبَاءٍ لَهَا.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: هَلْ مِنْ شَرَابٍ يَا خَالَةُ؟!

قَالَتْ: نَعَمْ! فَأَنَاخُوا إِلَيْهَا ، وَلَيْسَ لَهَا إِلا شُوَيْهَةٌ [1]، فَقَالَتْ: احْلِبُوهَا ، فَاشْرَبُوا لَبَنَها ، فَفَعلُوا.

---

(١) وَتَعْنِي تَصْغِيْر الشَّاةِ.

فَقَالُوا: وَهَلْ مِنْ طَعَامٍ؟

قَالَتْ: لا ؛ إلا هَذِهِ الشَّاةُ ، فَلْيَذْبَحْهَا أَحَدُكُمْ حَتَّى أُهَيِّىءَ لَكُمْ مَا تَأْكُلُون .

فَقَامَ إِلَيْهَا أَحَدُهُم ، فَذَبَحَهَا ، وَكَشَطَهَا[1] ، ثُمَّ هَيَّأَتْ لَهُمْ طَعَامَاً ، فَأَكَلُوا ، وَأَقَامُوا حَتَّى أَبْرَدُوا[2] ، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَرْتَحِلوا؛ قَالُوا لَهَا: نَحْنُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ نُرِيْدُ هَذَا الوَجْهَ ، فَإِذَا رَجَعْنَا بِإِذْنِ اللهِ سَالِمِيْنَ فَأْلِمِّي بِنَا ، فَإِنَّا صَانِعُوْنَ إِلَيْكِ خَيْرَاً ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا وَأَقْبَلَ زَوْجُهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَالشَّاةِ ، فَغَضِبَ ، وَقَالَ: وَيْحَكِ!

---

(١) أَيْ: أَزَالَ الجِلْدَ عَنْها.

(٢) أَيْ: دَخَلُوا في وَقْتِ البَرْدِ؛ أي: بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ حَرُّ الشَّمْس.

تَذْبَحِيْنَ شَاتِيْ لِقَوْمٍ لا أَعْرِفُهُمْ ، ثُمَّ تَقُولِيْنَ: نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ؟!

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ أَلْجأتهُمَا الحَاجَةُ إِلى دُخُولِ المَدِيْنَةِ ، فَدَخَلاهَا ، وَجَعَلا يَلْتَقِطَانِ البَعْرَ ، وَيَعِيْشَانِ بِثَمَنِهِ ، فَمَرَّتِ العَجُوْزِ بِبَعْضِ سِكَكِ المَدِيْنَةِ ، فَإِذَا الحْسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَاقِفٌ بِبَابِ دَارِهِ ، فَعَرَفَ العَجُوْزَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا غُلامَهُ ، فَدَعَا بِهَا.

فَقَالَ الحْسَنُ لَهَا: يَاْ أَمَةَ اللهِ! أَتَعْرِفِيْنَنِي؟

قَالَتْ: لا.

قَالَ: أَنَا ضَيْفُكِ بِالأَمْسِ ، يَوْمَ كَذَا ، وَكَذَا!

قَالَتْ: بِأبي أَنْتَ وَأُمِّي!

ثُمَّ اشْتَرى لَهَا مِنْ شِيَاهِ الصَّدَقَةِ أَلْفَ

شَاةٍ ، وَأَمَرَ لَهَا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَبَعَثَ بِهَا مَعَ غُلامِهِ إِلى الحُسَيْنِ.

فَأَمَرَ لَهَا الحُسَيْنُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَبَعثَ بِهَا مَعَ غُلامِهِ إِلى عَبْدِ الله بْنِ جَعْفرٍ ، فَقَالَ لَهَا: بِكَمْ وَصَلَكِ الحَسَنُ ، والحُسَيْنُ؟

قَالَتْ: بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ ، وَأَلْفَيْ شَاةٍ!

فَقَالَ لَهَا: لَوْ بَدَأتِ بِيْ؛ لأَتْعَبْتُهُمَا في العَطَاءِ! أَعْطُوْهَا عَطِيَّتَهُمَا...!!

فَرَجَعَتِ العَجُوزُ إِلى زَوْجِهَا بِأَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ وَأَرْبَعَةِ آلافِ شَاةٍ!!

... صَفَّقَ (عَلِيٌّ) .. وَقَالَ: لَقَدْ صَدَقَ الله تَعَالى بِقَوْلِهِ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وَيْحَكَ! فَمَنْ أَنْتَ؟

وَشَارَكَ (فَادِيْ) بِحِكَايَةٍ قَصِيرَةٍ ، لَكِنَّها رَائِعةٌ ، وَفِيْها عِبَرٌ وَفوائِدُ. وَمُلَخَّصُهَا: أَنَّ أَحَدَ الرِّجَالِ ادَّعى النُّبُوَّة ، فَطُلِبَ إِلى المُحَاكَمَةِ ، وَوُضِعَ عَلى رَأْسِهِ السَّيْفُ.

فَقَالَ: وَيْحَكُم! ما تَصنعُوْنَ بِيْ وَأَنَا نَبِيُّ اللهِ؟!

قَالُوا: سَنَقْتُلَكَ؛ لأَنَّكَ كَذَّابٌ مُدَّعٍ.

فَقَالَ: أَنَا لَسْتُ نَبِيَّاً ، وَلَكِنِّي صِدِّيْقٌ!

فَرَفعُوا السَّيْفَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَدُعِيَ لَهُ بِالسِّيَاطِ.

فَقَالَ: وَلِمَ السِّيَاطُ؟

قَالُوا: لادِّعَائِكَ أَنَّكَ صِدِّيْقٌ.

فَقَـالَ: لاَ أَدَّعِـي ذَلِـكَ! بَـلْ أَنَـا تَـابِعِـيٌّ بِإِحْسَانٍ.

فَرفَعُوا السِّيَاطَ عَنْهُ ، وَدُعِيَ لَهُ بالدِّرَّةِ ـ العَصَا ـ

فَقَالَ: وَلِمَ ذَلِكَ كُلّهُ؟

قَالُوا: لادِّعَائِكَ مَا لَيْسَ فِيْكَ!

فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكُمْ! أَدْخُلُ إِلَيْكُمْ؛ وأَنَا نَبِيٌّ ، تُرِيْدُوْنَ أَنْ تَحُطُّونِيْ في سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى مَرْتَبَةِ العَوَامِّ ، اصْبِرُوا عَليَّ إلى غَدٍ حَتَّى أَصِيْرَ لَكُمْ مَاْ شِئْتُمْ...!!

الشِّفَاءُ بِلِقَاءِ الأَحْبَابِ!!

سَمِعَ وَالِدُ (عَلِيٍّ) ضَحِكَاتِ الأَصْدِقَاءِ إِلى خَارِجِ الغُرْفَةِ ، فَظَنَّ: أَنَّ أَمْرَاً مَا قَدْ حَدَثَ!

فَحَمَلَ بَعْضَ الفَوَاكِهِ ، وَقَرَعَ بَابَ الغُرْفَةِ ثُمَّ دَخَلَ... فَوَجَدَ ابْنَهُ عَلِيّاً جَالِساً بَيْنَ أَصْدِقَائِهِ... وَهُوَ يُشَارِكُهُمُ الابْتِسامَاتِ ، وَالضَّحِكَاتِ ، فَسَأَلَ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ فَقَالَ (عَلِيٌّ): حَقّاً كَمَا قَالَ عَمِّيْ (نِزَارٌ): الشِّفَاءُ يَكُوْنُ بِلِقَاءِ الأَحْبَابِ ، وَالأَصْحَابِ... وَبَعْدَ قَلِيْل: وَدَّعَ (عَلِيٌّ) أَصْدِقَاءَهُ... الَّذِيْنَ تَمَنَّوا لَهُ الشِّفَاءَ العَاجِلَ ، وَالعَافِيَةَ ، وَالصِّحَّةَ الدَّائِمَةَ...

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

* * *